الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط
التاريخ: ٢٢ شوال ١٤٢١هـ

قراءات اسلامية

المسلمون الصينيون قاوموا جميع انواع النفي الديني عبر العصور

بقلم: شكيب الاموي

دخل الاسلام الى الصين بعد الهجرة النبوية الشريفة بقليل.. وقد هزم المسلمون الفرس والروم معاً بعد الهجرة النبوية بجيل واحد.. فأرسل كلاهما رسلاً الى الصين.. يستغيثون بابن السماء.. ويهولون له في خطب هذا العدو الظافر.. ظناً منهم ان هذا التهويل يحفزهم الى المبادرة باغاثتهم في الطريق حرصاً على حدود الصين.. فكان هذا العاهل أحذر مما حسبوه.. ودعته استغاثة الروم بعد استغاثة الفرس.. الى مسالمة هذه القوة الجديدة.. فأوفد رسله الى الخليفة عثمان رضي الله عنه.. وقابل الخليفة هذا التقرب بمثله.. فأرسل إليه بعثة قوبلت بالحفاوة والترحاب..

وقبل أن يمضي قرن واحد على هذه الزيارات.. عرضت لبلاط الصين تلك المشكلة.. التي حيرت سفراء الغرب.. في مملكة ابن السماء.. بعد اكثر من عشرة قرون.. حين اشترط ابن السماء على السفراء ان يتقدموا اليه راكعين.. وعز على هؤلاء السفراء ان يحيوه بتحية اكبر من تحيتهم لملوكهم.. فان العاهل «سو ان تسنج» غره ما سمعه من اضطراب احوال الدولة الاسلامية.. فجرد على تخومها جيشاً كبيراً.. فانهزم وأمر قتيبة الرسل الذين انفذهم الى بلاط ابن السماء ان يعرضوا عليه الاسلام أو الجزية.. أو مواصلة القتال.. فدخل هؤلاء الرسل على ابن السماء لأول مرة مترفعين عن السجود منذرين متوعدين..

ثم مات الخليفة الوليد.. وقتل قتيبة.. واجزل العاهل عطاء الجيش الاسلامي وأذن لهم البقاء في بلاده.. فسموا باسم القبيلة الصينية التي كانت الى جوارهم ودانت بالاسلام مقتدية بهم.. وهي قبيلة «هوى شوى».. ولايزال المسلمون جميعا يعرفون باسم «هدى هوى».. في جميع بلاد الصين..

ويؤخذ من سجلات اسرة تانج ان الدولة كانت تمنح الأسر الاسلامية المقيمة في سيانغو ٥٠٠ الف اوقية من الفضة كل سنة.. وهو عطاء فرضته الدولة على نفسها مكافأة لهم على نجدتهم للعاهل «تسو تسنج».. الذي ثارت الجند بعد إكراه ابيه على النزول عن العرش.. فاستنجد بالخليفة العباسي ابي جعفر فأمده ببضعة آلاف جندي هزموا الثوار واقروه على عرشه.. فاستبقاهم في ارضه (سنة ٧٥٧)... ومن هؤلاء ومن سبقهم من جنود قتيبة تناسل المسلمون في غرب الصين!!

إلا ان المسلمين قد دخلوا الصين

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

المسلمون الـ

من غير طريق الغرب..

ولم ينقطع تجارهم وسياحهم والملاحون منهم من زيارة موانئ الجنوب في كانتون.. وما جاورها.. وأوغل بعضهم الى داخل البلاد من الجنوب والغرب والشمال.. مع القبائل الرحل.. فلم يخل منهم اقليم من الاقاليم الصينية على الاجمال.. ويسمى المسلمون من الشمال الغربي عند قانصوه وشنسي.. بالتنجان اي المتنقلين.. الى الدين الجديد.. ويسمون في ستكيانج بالتترك.. لانهم من السلالات التركية في التركستان.. ويسمون في يونان بالبنشاي.. وهم من سلالة الترك والعرب واهل الصين الاقدمين..

وليس هؤلاء جميعا من سلالة المسلمين الاولين.. بل منهم اناس من ابناء الصين اثروا الاسلام اعجابا بأهله.. ومنهم من كان اباؤهم يبيعونهم في اعوام المجاعة.. فينشأون بين المسلمين على عقيدتهم.. ولم يحل تحريم المسلمين أكل الخنزير وتعاطي الخمر والمخدرات.. دون اجتذاب جيرانهم الى دينهم بالقدوة الحسنة والمعاملة المرضية.. والامانة في التجارة والزراعة.. فأسلم كثيرون بغير إكراه على قلة إكتراث الصينيين بالتحول من دين الى دين.. لانهم لا يبالون ما يعتقدون اذا تركت لهم عبادة الاسلاف ورعاية التقاليد في الشعائر واداب السلوك؟!

وقد شقي المسلمون في الصين بحكم أسرة المانشو.. في القرنين ١٨ و١٩ وعلمت هذه الاسرة الواغلة تاريخ لمسلمين في نصرة الاسرة المخذولة فاشفقت على المهزومين وتعللت لهم بالعلل التي تصطبغ بصبغة الدين لتنفير البوذيين فحرمت عليهم ذبح البقر.. سنة ١٧٣١ مع انها تبيح ذبح الخنازير.. وظنت انها ترضي بذلك طوائف البوذيين. وترضي سائر اهل الصين الذين يبيعون الخنزير.. ويسرهم ان يضطر المسلمون الى اكله.. بعد تحريم لحوم البقر عليهم.. فثار المسلمون وتتابعت ثوراتهم وهزموا جنود الحكومة.. في معارك كثيرة.. ومنها معركة في التركستان الصينية.. قُتل فيها الفان وانتحر الوالي خوفاً من القصاص (١٨٦٣).. وفي هذه الآونة استقل البطل التنجاني يعقوب بك بحكم التركستان.. واوشك ان ينفصل بها وبالاقليم المجاور لها.. لولا ان مات فجأة (١٨٧٧)..

وكان لثورات المسلمين في الغرب والشمال أثر في اسقاط دولة المانشو وبتحريض الناقمين منها على مهاجمتها!!

وقد احس المستعمرون الشرقيون والغربيون وطأة المسلمين الصينيين في حروب تلك الدول مع الصين فخطبت ودهم وتقربت منهم جهرة وخفية.. ثم اوفدت سفراءها.. من امراء البيت المالك.. الى دار الخلافة.. لتستميل اليها المسلمين الصينيين في خصوماتها.. مع اسرة المانشو.. ومع الروس في وقت واحد.. وكانت اسرة المانشو قد حرمت على المسلمين الاتصال بالعالم الخارجي.. فتعذر عليهم اداء فريضة الحج.. ولكنهم كانوا يتحيلون على الخروج لاداء هذه الفريضة بمختلف الحيل.. فلما أحست بمساعي الدول بينهم.. وتسلل الدعاة اليهم من اليابان وروسيا وتركيا وحكومة الهند.. ضربت حولهم السدود.. وحظرت العودة على من يغادر منهم البلاد للحج او لطلب العلم.. فنشأت بينهم عادة غريبة.. وهي عادة الحج بالنيابة.. وتوافد عليهم فقراء المسلمين.. من الامم القريبة.. لينوبوا عنهم في الحج بأسمائهم.. خوفاً من النفي الدائم او غادروا البلاد بغير إذن الحكومة.. ولم تخل القيود من اثرها المحمود.. فانها ضاعفت عنايتهم بدراسة الدين وحفظ القرآن فكثر بينهم من يحذقون لغته.. ويقرؤون بها قراءة المجتهد في أرض معزولة عن الثقافة العربية..

وتعزى الى هذه الفترة نهضة التجويد بين مسلمي الصين الغربية.. وهي كسائر النهضات مقبولة عند فريق.. مستنكرة أو مشتبه فيها بين فريق المحافظين على كل قديم..

ومايزال مسلمو الصين في غمرة من جرائر الظلم الذي حاق بهم على عهد الاسرة المنشورية.. ولم يرتفع عنهم كثيراً بعد قيام الجمهورية.. ولكنهم على أية حال كانوا في مطلع القرن العشرين.. قوة لا تهمل في حساب احد يعنيه امر الصين كلها.. ولهذا جعلتهم الجمهورية عنصرا من العناصر الخمسة التي يقوم عليها بناء النظام الجديد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية